دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	الإمارة التنوخية في اللاذقية : ملامح لتكوين الصورة
المصدر:	التراث العربي
الناشر:	اتحاد الكتاب العرب
المؤلف الرئيسي:	جعفر، إحسان محمد
المجلد/العدد:	مج 1, ع 3
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	1980
الشهر:	أكتوبر
الصفحات:	110 - 114
رقم MD:	180136
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	IslamicInfo, AraBase
مواضيع:	الشعر العربي ، الإمارة التنوخية ، اللاذقية، الأدب العربي ، المتنبي ، احمد بن الحسين ، ت 354هـ، الدواوين والقصائد ، شعر المديح ، الشعراء العرب ، العصر العباسي
رابط:	https://search.mandumah.com/Record/180136

© 2019 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

الإمارة التنوخية في اللاذقية

ملامح لتكوين الصورة

إحسان جعفر

تتناقل كتب الأدب ان أبا الطيب المتنبي وفد على عدد من الامراء التنوخيين في اللاذقية،بيد أن هذه الكتب تسمي هؤلاء الأمراء، وتسكت عنهم ، ولا تعطي أية تفصيلات موسعة أو تلقى حزمة من ضوء على امارتهم العربية التي حرمت من الاسهاب التاريخي ، وكانت تعاصر امارة سيف الدولة الحمداني في حلب وفترة الحروب العربية ـ البيزنطية التي تجددت كأشد ماتكون في القرن الرابع الهجري ٠ وقد تتبعت نشأة هذه الامارة وعصرها الذهبي ونهايتها ، فدونت بعض الملامح التاريخية والأدبية التي قد تساعد على تكوين صورة ما ٠

وسكنى التنوخيين في اللاذقية تعود الى عهود قديمة حيث استقر فيها عدد كبير من أسرهم ، لا بل ان بعض المؤرخين يرجع هذا الاستقرارالى عهد الحكم الروماني قبل الاسلام والفتح العربي ، غير أن تأسيس امارتهم في اللاذقية حدث في سنة ٢٤٩هـ أيام خلافة أحمد المستعين العباسي ، ففي هذه السنة ـ حسب مايذكر اليعقوبي ـ وثب « بالمعرة المعروف بالفُصيص ، وهو يوسف بن ابراهيم التنوخي ، فجمع جموعا من تنوخ،وصار الى مدينة قنسرين، فتحصن بها ، فلم يزل بها حتى قدم محمد المولّد ، مولى أمير المؤمنين ، فاستماله واستمال غطيف بن نعمة ، وصار اليه، ثم وثب بغطيف بن نعمة فقتله ، وهرب الفصيص ، فصار الى جبل الأسود ، واجتمعت قبائل كلب بناحية حمص على الامتناع على المولّد ،فسار اليهم فواقعهم،

فكانت عليهم ، ثم وثبوا عليه ، فهزموه، وقتلوا خلقا عظيما من أصحابه ، وانصرف الى حلب في فَلّه ، ورجع الفُصيص الى قنسرين ، وجرت بينه وبين كلب محاربة، وعزل المولّد وولي أبو الساج الأشروسنّي ، وكتب الى الفصيص يؤمنه ، وصير اليه الطريق والبذرقة ثم ولاه اللاذقية ونحوها.»

والفصيص هذا : يوسف بن ابراهيم التنوخي ، رأس الأمراء التنوخيين في اللاذقية ، واياه عنى أبو الطيب المتنبي في بيتين له قالهما في معرض مديحه للحسين ابن اسحاق التنوخي أمير اللاذقية لعهده :

وجدنا ابن اسحاق الحسين كجده
على كثرة القتلى بريئاً من الاثم

أطعناك طوع الدهر يابن ابن يوسف
بشهوتنا والحاسدولك بالرغم

وكان الفصيص قبل توليه امارة اللاذقية « غازيا يقتل الكفار »أي الروم البيزنطيين ، كما نوه بذلك الواحدي في شرحه لديوان المتنبي .

وقد أصيبتالامارة التنوخية فياللاذقية بتزعزع سنة ٣١٩هـ، عندما ولى مؤنس المظفر ، الذي كان يدبر شؤون الخلافة العباسية للقاهر ، غلامه : طريف بن عبد الله السبكري الخادم على حلب ، « وكان ظريفا شهما شجاعا،وحاصر بني الفصيص في حصونهم باللاذقية وغيرها ، فحاربوه حربا شديدا حتى نفد جميع ماكان عندهم من القوت والماء ، فنزلوا على الامان فوفى لهم ، وأكرمهم ، ودخلوا معه حلب مكرمين معظمين ، فأضيفت اليه حمص مع حلب. »

ويلوح أن التنوخيين سرعان مااستطاعوا أن يعيدوا سلطانهم الى اللاذقية ، فعندما زارها أبو الطيب المتنبي سنة ٣٢١ هـ ، ولم تكن سنه قد أربت على العشرين ، كانت اللاذقية بحوزتهم ، وقد احتوى ديوانه على قصائد عديدة في مدح أمرائهم الذين تتالوا على حكم اللاذقية لعهده وهم : محمد بن اسحاق والحسين بن اسحاق وعلي بن ابراهيم ، وفي رثاء محمد بعضها من غرر قصائده ، ومن شأنها أن تضفي ضوءا ورواء على امارتهم يعوضان عما افتقدته من اسهاب .

ويتبادر لنا أن الامارة التنوخية غدت بعد قيام الدولة الحمدانية في حلب تحت سيادة سيف الدولة الحمداني الذي بسط سيطرته على المعرة وحماه وحمص ومنطقة اللاذقية ، ويلوح أن أمراءها كانوا على اتفاق معه ، وربما كان يعاملهم معاملة الولاة ، غير أنهم مع ذلك كانوا يتمتعون بالاستقلال الذاتي في تدبير شؤون بلادهم.

ومما يدعو للاسف ان حظ تنوخي اللاذقية من الاسهاب التاريخي والامتداد المطبوع بطابعهم أقل بكثير من حظ اللبنانيين منهم ، وهذا ماجعل الدارسين يغفلون عنهم ويظنون أن الحركة التنوخية خاصة بلبنان ، ويذكرون تنوخي لبنان دون

تنوخي اللاذقية ، وقد دون محمد عزة دروزه نبذة عنهم رجح فيها أنهم وتنوخي لبنان من قبيلة واحدة هي تنوخ قضاعة ، وذكر أن التنوخيين حينما وجهوا من منطقة معرة النعمان التي كانوا قد استقروا فيها عقب حركة الفتح العربي الاسلامي قد وجهوا الى سواحل الشام وجبالها القريبة لصد غارات الروم البيزنطيين في البحر واحباط دسائسهم بين نصارى هذه الجبال والسواحل وتقوية العنصر العربي الاسلامي فيها وانهم اتجهوا من المعرة الى اللاذقية أولا حيث تقع في طريقهم ، فاستقر منهم جماعات في منطقتها ، وجاء منهم جماعات أخرى الى لبنان حيث استقروا في أنحائه الجبلية الغربية المحاذية لبيروت . ونوه الى أن ذلك هو أيضا رأي فليب حتي حيث ذهب الى القول : ان تنوخي لبنان واللاذقية والمعرة هم من قبيلة واحدة هي تنوخ قضاعة التي كانت في بلاد الشام قبل الاسلام ، بينما يذهب شكيب أرسلان الى أن تنوخي اللاذقية والمعرة فقط هم من تنوخ قضاعة دون تنوخي لبنان .

وأولى القصائد التي قالها أبو الطيب المتنبي في التنوخيين مرثيته في الامير محمد بن اسحاق بن يوسف التنوخي الذي توفي في السنة التي وفد فيها المتنبي عليهم ، وربما كان قد سعى الى اللاذقية ليرثي عميدهم الذي قال فيه :

ما كنت آمل قبل نعشك أن أرى
رضوى على أيدي الرجال تسير

خرجوا به ولكل باكٍ خلفه
صعقات موسى يوم دك الطور

والشمس في كبد السماء مريضة
والأرض واجفة تكاد تمور

وحفيف أجنحة الملائك حوله
وعيون أهل اللاذقية صور

وفي ديوان المتنبي بالاضافة الى هذه المرثية ثلاث قصائد مهداة الى الحسين أخي محمد بن اسحاق الذي تولى الامارة بعده، وكان شابا جميل الطلعة ومحاربا مقداما عمت مآثره وأخبار كرمه آفاق البلاد كما يقول بلاشير في دراسته عن المتنبي ، الذي جعل وفاته سنة ٣٦٨هـ نقلا عن لويس شيخو في شرح مجاني الأدب ، والذي أعلمه أنه في سنة ٣٥٦هـ كانت اللاذقية بيد الامير علي بن ابراهيم بن يوسف القُصيص ابن عم الحسين اذ أورد هذه الاشارة ابن العديم في زبدة الحلب ، وبهذا اما أن يكون تاريخ وفاته خطأ اذ أن بلاشير لم يطمئن لهذا التاريخ ، فقد عقب عليه بقوله : « ولا نعلم مصدر هذا الخبر الذي اعتمد عليه لويس شيخو » أو أن علي بن ابراهيم خلع الحسين الذي توفي بعد ذلك في التاريخ الذي أشير اليه ، فقد كان ثمة صراع بين التنوخيين أنفسهم اذ كان ليوسف بن ابراهيم ابنان : اسحاق وابراهيم ولأسباب نجهلها استأثر أبناء اسحاق بالامارة دون أبناء ابراهيم الذي أرجح كونه الابن الاكبر ليوسف وذلك من اتفاق اسمه مع اسم جده والعادة أن يسمى

الابن الاكبر باسم الجد ، فلذلك نظر أبناء ابراهيم الى أبناء عمومتهم نظرة المغتصبين، والذي يؤكد ماذهبت اليه أن المتنبي لم يرث الحسين بن اسحاق وكان قد رثى قبله أخاه محمدا .

ومما يؤيد ما ذهبنا اليه قول المتنبي مخاطبا الامير عليا :

وقد مزقت ثوبَ الغيِّ عنهم
وقد ألبستهم ثوب الرشاد

فما تركوا الامارة لاختيار
ولا انتحلوا ودادك من وداد

فمن هؤلاء الذين لم يفتك بهم الامير والباسهم ثوب الرشاد ! ومن هؤلاء الذين علي ؟ وانما اكتفى بتمزيق ثوب الغي عنهم كان المتنبي قد نزل بهم في اللاذقية ومدحهم، وهو الآن في ظل الامير الجديد يلجأ الى تسويغ مدحه ؟ أليسوا : الحسين بن اسحات وآله ؟؟ حيث يقول

أثرت أبا الحسين بمدح قومٍ
نزلت بهم فسرت بغير زاد

وظنوني مدحتهم قديمـــ آ
وأنت بما مدحتهم مرادي

وكيف يكون هو بما مدحهم مراده اذا لم يكن هنالك رابط بين الاثنين .

غير أن الامراء التنوخيين خضعوا بعد وفاة سيف الدولة الحمداني للبيزنطيين فان أبا الحسين« علي بن ابراهيم بن يوسف الفصيص سلم اللاذقية لنقفور فوقاس ، امبراطور الروم ، عندما وصل الى اللاذقية سنة ٣٥٧هـ في نطاق حملته على بلاد الشام ، فقد ذكر ابن العديم في زبدة الحلب أن نقفور بعد فتح جبلة توجه الى اللاذقية فانحدر اليه أبو الحسين علي بن ابراهيم ، فوافقه على رهائن تدفع اليه منها ، وانتسب له مفرن نقفور سلفه ، وجعله سردغوس وسلم أهل اللاذقية ، ويذكر رنسيمان في تاريخ الحروب الصليبية أنه خلفها وراءه وقد اشتعلت بها النيران (...!)

وقد ظل للتنوخيين سلطان في اللاذقية طيلة بقاء البيزنطيين فيها حتى عام ٤٧٧هـ حيث استولى السلاجقة على اللاذقية ، وقد حاول التنوخيون في أخرة من أيامهم التفلت من سيطرة البيزنطيين التي ضعفت ، ففي عام ٤٧٣هـ قام قاضي جبلة أبو محمد عبد الله منصور بن الحسين التنوخي المعروف بابن صليحة ـ وكانت جبلة تخضع للبيزنطيين ، وعليها مثل اللاذقية من قبل البيزنطيين قضاة من تنوخ ـ بثورة على البيزنطيين ، وقد استطاع بفضل معونة قاضي طرابلس جلال الملك بن عمار تخليص المدينة .

● احسان جعفر

المصادر والمراجع مرتبة حسب الاهمية :

١ ـ تاريخ اليعقوبي (بيروت : دار صادر ، ١٣٧٩هـ ـ ١٩٦٠م .) ، ٢:٤٩٧ . حوادث سنة ٢٤٩هـ .

٢ ــ ديوان المتنبي ، طبعة البرقوقي .

٣ ــ ابن العديم ، زبدة الحلب من تاريخ حلب تحقيق سامي الدهان (دمشق : المعهد الفرنسي ، ١٩٥١م .) ، ١ : ٩٧ .

٤ ــ محمد راغب الطباخ ، اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء (حلب ١٩٢٣ ــ ١٩٢٥م .) ١ : ٢٣٨ .

٥ ــ محمد عزة دروزة ، العرب والعروبة (دمشق : ١٩٥٩ .) ، ٢ : ١٢ .

٦ ــ شكيب ارسلان ، روض الشقيق ، صفحة ٢٤٨ .

٧ ــ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ٣ : ٢٣٩ .

٨ ــ بلاشير ، أبو الطيب المتنبي ، دراسة في التاريخ الادبي ، ترجمة الدكتور ابراهيم الكيلاني

٩ ــ طرابلس الشام في التاريخ الاسلامي ، الدكتور السيد عبد العزيز سالم .

١٠ ــ محمد كرد علي ، خطط الشام .

١١ ــ وخبر التنوخيين ورد في بغية الطلب مفصلا في الورقة ١٣ نقلا عن تاريخ أبي غالب المعري .